المحاضرة رقم:01: تاريخ الفكر اللساني عند الهنود والإغريق والرومان

سنحاول الحديث عن تاريخ الدراسات اللغوية عند كل من الهنود والاغريق، أي كل ما له علاقة بدراسة اللغة .

أ-عند الهنود

يمكن القول إن الهنود هم أول الشعوب التي اهتمت بدراسة لغتها وخصائصها، وقد كان البحث اللغوي عندهم وليد الشعور الديني، وهو الرغبة للمحافظة على النطق الصحيح للأناشيد المقدسة لديانة الفيدا VEDA، ولهذا نظروا إلى اللغة السنسكريتية بنظرة مقدسة ورسموها باكتمال، وكانت دراسة هذه اللغة والعناية بها لون من ألوان العبادة[1]. والفيدا من أقدم النصوص المعروفة عند الهنود يعود تاريخها إلى حوالي 1200سنة (ق م) وبمرور الزمن أصبحت السنسكريتية لغة الفيدا لغة قديمة لا يفهمها الا جماعات قليلة. مع ذلك ظلت السنسكريتية لغة رسمية دينية مقدسة، وقد كانت قواعد هذه اللغة تتوارث شفويا.

ويعتبر بانيني إمام النحو الهندي ويمثل فترة النضج في الدراسات النحوية عند الهنود، إذ يقول عنه بلومفيلد ". يعد بانيني معلما من أعظم معالم الذكاء الإنساني..." ذلك لأن قدم عرضا شاملا ودقيقا للقواعد الصرفية والنحوية للغة السنسكريتية بوصفها من أقدم لغات الأسر الهندوأوروبية.[2]

كان بانيني من أشهر النحويين للهند القديمة، عاش في شمال الهند بين القرن 4 و5(ق م)، ألف كتابا وصفه المؤرخون بأنه دستور اللغة الهندية القديمة، ولقد اطلق على كتابه النحوي اسم المثمن أي ذو الثمانية اجزاء، الذي يضم أربعة الاف قاعدة لغوية تضبط قواعد اللغة السنسكريتية بشكل يعكس دقة وذكاء العالم اللغوي بانيني وقد عالج الكتاب قواعد هذه اللغة بنحوها وصرفها وأصواتها، وتعرض للمشكلات الصوتية ومخارج الأصوات

---

[1]- جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين القاسم، سلسلة الكتب العلمية، دمشق، 1972,ص:64

[2]- بوقرة نعمان .محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006. ص53

والابدال وقواعد الجنس والعدد واللواحق الاساسية وموضوعات اخرى متنوعة جاءت في كتابه بأجزائه الثمانية.

اهتم الهنود بالظاهرة اللغوية اهتماما بالغا، ولاسيما جانبها الصوتي، حيث وصفوا الأصوات وعينوا مخارج وأعضاء النطق.[3] فقد قسموا أعضاء النطق إلى فموية (أسنان، لسان، شفتين) وأعضاء غير فموية (رئتين، مزمار، فراغ أنفي)، كما قسموا الأصوات إلى أصوات أنفية وغير أنفية، أما منهجهم في تقسيم الأصوات فقد انطلق من أقصى الحلق إلى الشفتين، كما تم التمييز بين الجهر والهمس بالرجوع إلى انغلاق أو انفتاح المزمار.[4]

أما في مجال النحو: فقد قسم الهنود الكلام إلى فعل واسم وحرف، كما قسموا الأفعال إلى عشرة أقسام يتميز بعضها بزوائد مختلفة (الحاضر والتام، والمستقبل، والمستقبل القريب والمستقبل البعيد....)

وقسموا الأسماء إلى ثلاثة أقسام : المفرد والمثنى والجمع، وللاسم صيغ كثيرة مثل صيغة الفاعل أو المبتدأ وصيغة الإضافة[5].

وقد تميز نحو بانيني بثلاثة خصائص تبنتها اللسانيات الحديثة، وعدتها منطلقات أساسية ومنهجية في كل دراسة لغوية، وهذه الخصائص هي:

1- الشمولية: أي الدراسة الشاملة لكل الجوانب المتعلقة باللغة
2- الانسجام: أي عدم التناقض الكلي والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية
3- الاقتصاد: أي الاقتصاد في استخدام الكلمات، والإيجاز في التعبير عن النتائج، وذلك باستعمال أسلوب علمي محض، يسود فيه الاختصار.[6]

---

[3]– أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات. دار الفكر المعاصر .دمشق.ط:01. 1996ص37

[4]– بوقرة نعمان. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة. ص52

[5]– أحمد عزوز. المدارس اللسانية : أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي. دار الأديب. وهران. 2005. ص27

6– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات ، الجزائر. ط:03، 2007.ص14

كما اهتم الهنود أيضا بتأسيس المعاجم ومن أهمها معاجم "نيخانتفاسي"nikhantavisie وهي عبارة عن قائمة من الكلمات غير المفهومة والمستعملة في الفيدا.

في القرن V– vi أسس اللغوي أمارا amara معجم السنسكريتية slovar sanskrita الذي يستعمله إلى حد الان المتخصصون الاوربيون في هذه اللغة.[7]

وقد كان اكتشاف اللغة السنسكريتية والعلاقة التي تربطها باللغة اللاتينية والاغريقية من قبل السير ويليام جونز من أبرز العوامل التي ساعدت على تطور اللسانيات المقارنة.

ب–الإغريق:

أما عن الدراسات اللغوية عند الإغريق فأقدم ما وصل إلينا من أبحاثهم يرجع إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد. ومن أهم الدراسات التي أثارت الانتباه ذلك الجدال الذي دام عدة قرون بين العلماء الإغريق حول نشأة اللغة، وأدى بهم إلى الانقسام إلى فريقين وهما: الطبيعيون والاصطلاحيون.

فيرى الفريق الأول وعلى رأسه أفلاطون أن اللغة من صنع الطبيعة، أي أنها انحدرت من أصل تحكمه قوانين خالدة غير قابلة للتغيير وأخذ بهذا الرأي مدرسة الشذوذيين وعلى رأسها قراطيس ومدرسة الرواقيين ومؤسسها زينون(حوالي 300ق.م).[8]

أما الفريق الثاني الذي يتزعمه أرسطو فيؤكد على أن اللغة من قبيل الاصطلاح أي أنها وليدة العرف والتقليد، والتزم بهذا الرأي القياسيون وعلى رأسهم ارستراخوس والأبيقريون وعلى رأسهم **أبيقو**[9].

وأدى النقاش بين الطبيعيين والاصطلاحيين إلى الخوض في مسألة البحث عن العلاقة بين أشكال الكلمات ومعانيها: أهي علاقة طبيعية بين شكل الكلمة ومعناه أم هي عرف واتفاق؟.

7– فتيحة قنيش، تاريخ الدراسات اللسانية، دار القدس العربي، دط، دت ص: 16

8 –ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في العرب، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص41–42

9– ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في العرب، تر: أحمد عوض، ص47

كما تحول الخلاف بين الفريقين في القرن 02ق.م إلى جدال حول مدى انتظام اللغة، فهناك من تمسك بفكرة القياس في اللغة(القياسيون) وهناك من ناهض هذه الفكرة (الشذوذيون)، إذ أن الجدال تمحور حول نسبة القياس في اللغة، ونسبة الشذوذ الظاهر الذي يمكن توضيحه من خلال الوصف والتحليل في إطار نماذج بديلة[10].

يرى القياسيون أن اللغة هي هبة الطبيعة، وأنها لا تعتمد على العرف الإنساني، واللغة في جوهرها نظامية ومنطقية، وهذا يعني ثمة توافقا تاما بين الشكل الصوتي للكلمة والمعنى الملازم لها.

أما الشذوذيون فلم يقتنعوا بوجود ارتباط مثالي بين البنية الشكلية والبنية الدلالية للكلمة واستظهروا أنواع الشذوذ حيثما ظهرت على مستويات العلاقات اللغوية كلها[11]. كما امنوا بأفكار ديمقريطوس democritus (حوالي 460-360ق.م) الذي أنكر الفرض القائل بقداسة أصل اللغة[12].

وبالإضافة إلى الدراسات التي دارت حول نشأة اللغة كان للإغريق دراسات نحوية، وكما هو معلوم فالنحو الإغريقي نحو تقعيدي تعليمي تربوي وكانت الصفة الغالبة عليه هي الكشف عن قواعد تميز صواب الكلام من خطئه، ثم فرض هذه القواعد لتحديد أقسام الكلام، إذ توصل الإغريق إلى وضع نظام نحوي يناسب لغتهم وغيرها من اللغات الشبيهة بها في التركيب التي لها أنواع نحوية متميزة تعبر عن الجنس والعدد والحالة والشخص والزمن.

واعتمد نحاة الإغريق الفلسفة والمنطق في وصف لغتهم مما جعل بعض الدارسين يرى أن السبب الوحيد الذي أدى إلى تخلف النحو الإغريقي وعدم إحكام قواعده أن النحاة الإغريق كانوا مرتبطين بأسس ومبادئ منطقية وفلسفية كثيرا مما اعترضت طريقهم نحو

---

[10]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور،.ص15-16

- [11] ميلكا ايفتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000. ص: 10

[12]- ميلكا ايفتش، اتجاهات البحث اللساني، ص:10

الملاحظة العلمية، وقادتهم إلى استعمال المنهج الاستدلالي لا الاستقرائي[13].

ومن أهم النحويين الإغريق:

بورتاغوراس:وهو أول من قام بتمييز الأجناس الثلاثة في اللغة الإغريقية: المذكر والمؤنث والوسط، وقسم الجمل إلى أنواع حسب الوظائف الدلالية العامة للتراكيب النحوية الخاصة مثل الإثبات والأمر والسؤال والتمني.

أفلاطون(427-347ق.م): الذي يعد أول من تحدث بإسهاب عن النحو الإغريقي وقواعده بطريقة جديدة فدرس ظاهرة الاقتراض والتداخل اللغوي وقسم الجمل إلى إسمية وفعلية واكتفى بالتمييز بين الأسماء والأفعال.

عرف الاسم بأنه شيء يخبر عنه ، الفعل: ما يخبر به عن الاسم.

واعتبر أن الكلمة هي الشكل المادي للفكرة.

حاول تصنيف اقسام الكلم، فجمع كلا من الأسماء والأفعال معا، حيث راى أن هذه الكلمات هي التي تحمل معاني متميزة في ذاتها، في مقابل كل الكلمات الاخرى التي لا تفيد إلا في ربط العمليات المنطقية للتفكير[14].

أرسطو(384-322ق.م): الذي تتلمذ على يد أفلاطون وتفوق على باقي التلاميذ ويعرف اليوم باب القواعد الغربية وقد خالف أستاذه في أمور كثيرة منها النظرة الفلسفية للكون واصل اللغة وطبيعتها.

كما يرى أرسطو أن كل شيء في هذا العالم يتكون من شكل ومادة ، وأن الشكل أهم من المادة وفكرته الفلسفية هذه أبعدته عن دراسة المعطيات اللغوية دراسة وصفية موضوعية، وقد أضاف أرسطو إلى تقسيم أستاذه للكلام ما يسمى بالرابطة وبذلك يكون التقسيم: اسم وفعل ورابطة.

كما مزج النحو بالمنطق، ونظرا لاهتمامات أرسطو بالمنطق فقد ركز في دراساته على

---

[13]- احمد عزوز. المدارس اللسانية. ص 39-40

[14]- ميلكا ايفيتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ص: 11-12

مبدئي التعريف والتعليل في حقل اللغة فكانت غايته معرفة ماهية الأشياء وتحديد معانيها، وإقامة البراهين الموضوعية والعلل المؤثرة في كل الأشياء[15].

حاول تصنيف أقسام الكلم، فجمع كلا من الأسماء والأفعال معا، حيث رأى أن هذه الكلمات هي التي تحمل معاني متميزة في ذاتها، في مقابل كل الكلمات هي التي تحمل معاني متميزة في ذاتها، في مقابل كل الكلمات الأخرى التي لا تفيد إلا في ربط العمليات المنطقية للتفكير.[16] **ج-الرومان:**

أما الرومان فقد كانوا تلامذة الإغريق في الدراسات اللغوية، واخذوا يسهمون فيها منذ القرن الثاني قبل الميلاد، ومن أشهر الكتاب الرومانيين "فارو**VARRO** وهو أول كاتب لاتيني جاد اهتم بالموضوعات اللغوية فأسهب في شرح أرائه اللغوية في 25مجلدا لم يبق منا سوى 05مجلدات.

ومن أهم مميزات مؤلفاته اللغوية عرضه المطول وتصويره لمشكلة التشبيه او القياس والخروج عن القياس، بالإضافة إلى وصفه وتحليله للغة اللاتينية واشتهر بتعريفه لقواعد اللغة بأنها "المعرفة المنتظمة لاستعمال اغلب الشعراء والمؤرخين والخطباء". وبتقسيمه الثلاثي للدراسات اللغوية : الاشتقاق والصرف والنحو.[17] وقد كان متأثرا بالفكر الرواقي، وبخاصة فكر أستاذه ستيلون stilo فكان يلخص الأعمال الإغريقية أحيانا، وقد تطرق إلى كل القضايا التي طرحها النحاة الإغريق حول نشأة اللغة ومسالة الطبيعة والاصطلاح، والقياس والشذوذ.واعتنى أيضا بظاهرة التوليد والاشتقاق، وقال بان اللغة تتكون من مجموعة متناهية من المفردات التي فرضت على الأشياء لتسهيل عملية التواصل، وتعمل بطريقة توليدية بوصفها مصدرا لأعداد هائلة من المفردات، كما درس النظام الفعلي في اللغة اللاتينية: فكتب عن علامة الزمان، وصيغة الفعل،وحالة الفعل من حيث البدء والاستمرار ، أو الإتمام

---

[15]- أحمد مومن، اللسانيات. النشأة والتطور، ص17-19

[16]- ميلكا ايفتش، اتجاهات البحث اللساني، ص12

[17]- عبده الراجحي. مبادئ علم اللسانيات الحديث.دار المعرفة الجامعية.الاسكندرية.2003. ص32

والانقطاع.[18]

وبالإضافة إلى فارو هناك علماء آخرون كان لهم الدور في إثراء الدراسات اللغوية في ذلك العصر من بينهم:

كونتيلين Quintilian (35م-90م):الذي تتلمذ على يد النحوي **Palaemon**، وقد أنجز عدة مؤلفات مست نواحي عدة منها النحو والأدب والتربية،والبلاغة. وقد كتب بإيجاز عن المسائل النحوية واللغوية والمقولات المنطقية والكلامية وأقسام الكلام والنظام الفعلي والحالاتي في اللغة اللاتينية.[19] إضافة إلى علماء آخرين أمثال اليوس دوناطوس وبريسيان ..

إن النظرية اللغوية التي أتى بها علماء الإغريق نجدها هي في العهد الروماني والقرون الوسطى وحتى عصر النهضة باستثناء بعض الإضافات الطفيفة أو الشروح الوافية، واستمرت الدراسات على هذا الحال حتى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي مع بداية اللسانيات التاريخية والمقارنة.[20]

ففي العصور الوسطى كان النشاط التبشيري سببا في ظهور دراسات لغوية من نوع خاص وهي الترجمات، كما أعطى دفعة قوية لتدريس اللاتينية وقواعدها في انجلترا.[21]

---

[18]- أحمد مومن، اللسانيات. النشأة والتطور، ص 25-26

[19]- احمد مومن. المرجع السابق.ص26

[20]- احمد مومن. المرجع السابق.ص28

[21]- عبده الراجحي. مبادئ علم اللسانيات الحديث. ص 34